المحاضرة الثانية:

اتجاهات الأسلوبية

1-الأسلوبية البنيوية

إن الأسلوبية البنيوية باعتبارها نهجا نقديا جديدا يهدف إلى تجاوز طرائق المناهج الأسلوبية الأخرى في تحليل الخطاب الأدبي، ويتناول الخطاب في ذاته مستفيدا من أسس منهج البنيوية الحديثة التي امتدت منذ منتصف القرن الحالي إلى الآن لتشمل جميع جوانب الفكر، وتدرسها كأبنية متكاملة ذات قوانين تحكم نظامها، وتدرس هذه القوانين والنظم المحددة لا كوحدات جزئية متنافرة؛ ولكن كبنى تحكمها علاقات تحقق نظامها وتؤسس لها بنيتها الشمولية الكبرى[1].

وتعرف الأسلوبية البنيوية بـ (الأسلوبية الهيكلية) في بعض الترجمات، ويعد هذا الاتجاه أكثر الاتجاهات الأسلوبية الحديثة شيوعا...وقد عرفت كذلك بـ (الأسلوبية الوظائفية) لأنها ترى أن المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية تكمن في اللغة ونمطيتها وفي وظائفها، ولذا يمتنع تعريف "الأسلوب" في منظورها خارجا عن النص أو الخطاب، أي كنص يقوم بوظائف إبلاغية في الاتصال بالمتلقين وحمل المقاصد إليهم[2].

وقد اقترن هذا الاتجاه باسم العالم الألسني "رومان جاكبسون"، الذي يرى أنها –الأسلوبية–:« البحث عمّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب الأخرى، وهو بهذا يخرج اللغة العامية واللغة الشفوية واللغة غير الفنية من الكلام الفني دون غيره»[3]. وتجدر الاشارة أن جاكبسون لم يستخدم مطلقا كلمة أسلوبية، بل استخدم مصطلح "الشعرية"، وقلما استخدم كلمة أسلوب.

وقد نادى جاكبسون بوظيفة التواصل، والتي تتيح للإنسان الاتصال بغيره من بني جنسه، وحدد للتواصل اللغوي مكونات، فكل عملية لغوية لا تتم إلا من خلال أطراف، هي: الباث أو المرسل؛ المتلقي أو المرسل إليه؛ الرسالة أو الخطاب؛ عملية البث (عملية تركيب الرموز)؛ عملية التلقي (عملية تفكيك الرموز)؛ السنن (ويشترط أن يكون مشتركا بين الباث والمستقبِل)؛ القناة. ويترتب على كل طرف وظيفة محددة، ومجموع الوظائف ستّ[4]، وليس ضروريا اجتماعها جميعا في الرسالة أو في النص، وإنما تهيمن واحدة على الأخريات، إلا أن جاكبسون ركز على الوظيفة الشعرية، بوصفها أبرز وظائف الفن اللغوي الأدبي.

---

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 91/1.

[2] ينظر: رابح بن خويا، مقدمة في الأسلوبية، ص60.

[3] موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص12.

[4] الوظيفة الانفعالية الانطباعية التأثرية (المرسل)، والوظيفة الافهامية الندائية (المرسل إليه)، الوظيفة الشعرية الإنشائية (الرسالة)، الوظيفة الانتباهية الاتصالية (القناة) ، الوظيفة المرجعية الدلالية الإحالية (سياق الرسالة)، الوظيفة فوق اللغوية (العلاقات اللغوية). ينظر: رابح بن خويا، مقدمة في الأسلوبية، ص62.

وفي ضوء هذ الوظائف التي قدمها جاكبسون فإنّ جماليات اللغة تنشأ من خلال الاختيار والتركيب الذين يعتمدان على مبدأ التعادل، ولذلك يقول: «إنّ الوظيفة الشعرية تكمن في إسقاط مبدأ التعادل من مبدأ الاختيار على مبدأ التركيب»[1].

وإذا كان جاكبسون قد انطلق في جهوده من مقولات الشكلانيين الروس فإنّ ميشال ريفاتير[*] (Michel Riffaiterre) يعدُّ زعيم الأسلوبية البنيوية، إذ بدأت الأسلوبية البنيوية معه مسارا مهما في تناول الأسلوب في النص الأدبي، وقد ألف عام 1971 كتابا خصيصا لهذا الغرض، سمّاه: "محاولات في الأسلوبية البنيوية"، حيث انصب اهتمامه على تحليل الخطاب الأدبي، لأن الأسلوب الأدبي لا يوجد إلا ضمنه[2].

لا بدَّ حسب ريفاتير من مقومات في كل نص، وهي:

أ–الفرادة: ويوليها ريفاتير اهتماما كبيرا، حتى إنه يجعلها حدا للأسلوب، يقول: «النص فريد دائما في جنسه، وهذه الفرادة هي التعريف الأكثر بساطة، وهو الذي يمكن أن نعطيه للأدبية»[3]؛

ب–السياق الأصغر والسياق الأكبر: والسياق الأسلوبي عند ريفاتير: «نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع، والتقابل الذي ينشأ عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبي»[4].

والسياق الأصغر هو الذي يقوم على تشكيل المفاجأة التي أولاها ريفاتير أهمية كبرى، ويعد الطباق والمقابلة منبها أسلوبيا يشكل عنصر المفاجأة[5].

أما السياق الأكبر فهو جزء من الخطاب الأدبي الذي يسبق الإجراء الأسلوبي، ويوجد خارجه، وقد قسمه إلى قسمين:

- سياق + إجراء أسلوبي+ سياق.
- سياق + إجراء أسلوبي+ نقطة انطلاق إلى سياق جديد+ إجراء أسلوبي[6].

ج–التشبع: وهو مقياس اعتمده ريفاتير لقياس مدى تأثير السمة الأسلوبية في المتلقي، «ومعناه أن الطاقة التأثيرية لخاصة أسلوبية تتناسب عكسيا مع تواترها، فكلما تكررت نفس الخاصة في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية، ومعنى

---

[1] موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص13.

[*] أستاذ بجامعة لوميا، تخصص في الدراسات الأسلوبية.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، الموقع: https://www.diwanalarab.com/ . تاريخ الاطلاع: 2022/10/27. سا: 19:48.

[4] المرجع نفسه.

[5] موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص18.

[6] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص230،229.

ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجيا»[1] . فالسجع مثلا قد يكون مثيرا أسلوبيا، ولكن قيمته الأسلوبية تتناقص كلما تكرر، حتى ليصبح مظهرا من مظاهر ضعف الأسلوب.

د–المفاجأة: تنتج عن المثير الأسلوبي الذي هو عنصر غير متوقع، لذلك فإنّ قيمة كل ظاهرة أسلوبية تتناسب مع حدّة المفاجأة، حيث كلما كانت الخاصية غير منتظرة كان وقعها في نفس المتلقي أوقع[2].

وهكذا فإن المنهج المعتمد في الأسلوبية البنيوية هو المنهج الوظيفي، وأساسه: الشكل –الوظيفة– السياق. وهو المفهوم الثلاثي الأبعاد للغة الذي يتم على أساسه تحليل النص الأدبي[3].

أما المنهج التواصلي فيعد جزءا أساسيا من المنهج الوظيفي للغة، وهذا المنهج يعود أصله إلى المدرسة البنيوية ورائدها "دي سوسير"، وقد اتصف هذا المنهج بصفات خاصة به أهمها، أنه يقدم قراءة شاملة متكاملة للنص الأدبي، يساعد على تحليله تحليلا وافيا كما أنه يهتم بالبنية السطحية والبنية العميقة للنص (المعنى الظاهري والمعنى الباطني). وهو يقدم تحليلا شاملا للنص الشعري من حيث هندسته ومفرداته وتراكيبه حيث يساعد الدارس الأسلوبي على ملاحظة الصيغة الغالبة في النص[4].

وبناء على ما سبق نجد أن "ريفاتير" تجاوز أسلوبية كل من "بالي" و"سبيتزر"، وإن كان أفاد منهما، فإذا كان "بالي" ركز على الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة، فإن "سبيتزر" ربط الأسلوب بذات صاحبه، في حين أنّ أسلوبية "ريفاتير" البنيوية لم تُعنَ إلا بالخطاب موضوعا للتحليل، هذا إلى جانب ربط الأحكام الاعتباطية، والانطباعات الذوقية.

2-الأسلوبية التعبيـرية

وتعرف بالأسلوبية الوصفية، انبثقت من اللسانيات الحديثة التي أرسى دعائمها فردينان دي سوسير في بدايات القرن العشرين. و«كانت النقلة النوعية التي أحدثها الأسلوبيون الوصفيون قد تمثلت بتغيير منهجية البحث الأسلوبي من الوجهة التاريخية إلى الوجهة الوصفية القائمة على عدّ اللغة ملكة إنسانية ذات أبعاد ثلاثية هي: البعد الاجتماعي، والبعد الذهني، والبعد التاريخي. وصار الهدف معقودا على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها»[5].

رائدها اللساني السويسري شارل بالي Charl Bally (1865–1947)–وهو أحد أشهر تلامذة سوسير، مختص في اليونانية والسنسكريتية في العصر الحديث–، و قد بدأ في التأسيس لها من خلال كتابيه: (في الأسلوبية الفرنسية) الصادر 1902م، و (المجمل في الأسلوبية) الصادر 1905 [6]، اللذان ناقش فيهما أفكاره حول الأسلوبية التي يرتكز حقلها أساسا على

---

[1] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص49.

[2] موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص126.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص91،92.

[6] ينظر: موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص10. وينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص241.

على « ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير اللساني...ظاهرة اللغة و ظاهرة العبارة...Langue/Parole . وإذ يرغب (بالي) عن هذا التقسيم يصنف الواقع اللغوي تصنيفا آخر فيرى الخطاب نوعين: ما هو حامل لذاته غير مشحون البتة، وما هو حامل للعواطف و الخلجات و كل الانفعالات..»[1]. و قد قام (بالي) بالتعريف بمجال بحث أسلوبيته، فقال: «تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية»[2]؛ فهي تدرس علاقة اللغة بالعاطفة وعلاقة العاطفة باللغة؛ ذلك أن معدن الأسلوبية -بحسب بالي-«ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية و الإرادية و الجمالية بل حتى الاجتماعية و النفسية، فهي إذن تنكشف أولا و بالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر الفني»[3]، غير أن أحد تلامذته وهو (كراسو) قام بتحويل «مفهوم (التعبيرية) إلى (الحدث الفني) أي مفهوم (الجمالية)»[4]، فصار الأدب بذلك -أو الخطاب الأدبي- مجالا خصبا للأسلوبية.

وبدعوته إلى دراسة القيم التعبيرية التي ينطوي عليها الكلام يكون قد خالف الدراسات البلاغية القائمة على الأنماط، والصور التقليدية المتداولة[5].

وقد اهتم بالي بالبحث عن «علاقة التفكير بالتعبير، وإبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفق بين رغبته في القول، وما يستطيع قوله»[6]. فالمنشئ سواء أكان متكلما عاديا أم أديبا، فهو يجتهد في اختيار طريقة ايصال أفكاره إلى المتلقي، وفي أحيان كثيرة يضمّن خطابه شحنات عاطفية بغرض التأثير في متلقيه.

أما منهج "بالي" فهو المنهج الوصفي القائم على جمع العينات الظاهرة المدروسة وتحليلها واخضاعها لمنهج احصائي، فكانت نتائجه علمية، وهو بذلك يقترب من روح "العلم" كما كانت تهدف مدرسة علم اللغة الحديث[7].

وقد أضاف هذا المنهج إلى حقل الدراسات الأسلوبية ثلاث نقاط إيجابية، وهي[8]:

-توسيع مجال البحث عن القيمة الأسلوبية، وعدم اقتصارها على الصور البلاغية التقليدية.

-توسيع دائرة البحث في المستويات اللغوية، والاهتمام باللغة المنطوقة من الناحية الأسلوبية.

-اعتماد المنهج الوصفي العلمي في مجال الدراسات النظرية.

لكن من جهة أخرى، لا يخلو هذا المنهج من ثغرات، نذكر:

-التركيز على المحتوى العاطفي في الأسلوب صرفه عن الاهتمام بالقيمة الجمالية في كثير من الأحيان.

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب (ط5)، ص34، 35.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص18.

[3] عبد السلام المسدي، نفسه، ص36 ،37.

[4] المرجع نفسه، ص39.

[5] ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص92.

[6] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 66/1.

[7] ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص32.

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-الاهتمام باللغة المنطوقة دون اللغة المكتوبة، رغم أنّ هذه الأخيرة هي مجال الدراسات الأدبية.

-اهتمامه بالتنظير شغله عن التطبيق على أعمال معاصرة.

وهكذا نلاحظ أن الأسلوبية التعبيرية، كما أرادها "بالي" لم تتجاوز حدود دائرة اللغة، ولم تفارق إطار الحدث اللساني المنظور إليه في ذاته، «وبذلك ظلّت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللغة، وليست أسلوبية الأدب»[1]. وقد وجّه "بالي" اهتمامه إلى اللغة المشتركة واللغة المنطوقة-وهي مادة دراسته-.

وعلى كل يحسب له كونه رائد الأسلوبية التعبيرية، وأنه أحدث تأثيرات واضحة في كثير من المدارس الأسلوبية التي جاءت بعده، مثل الشكلانية الروسية، والأسلوبية الاحصائية. فضلا عن احتلال المنهج الوصفي -بفضله- موقعا متميزا ومتقدما في الدراسات الأسلوبية.

3-الأسلوبية الإحصائية

يعد "بيار جيرو" Pierre Guiraud (ت1983) من رواد الأسلوبية الإحصائية، وقد اهتم خصوصا باللغة المعجمية، برصد المعجم الأسلوبي لدى مجموعة من المبدعين، أمثال: (فاليري)، (أبولينير)، (كورناي)، مستثمرا آليات الإحصاء كالتكرار، والتردد، والتواتر، والضبط، والعزل، والجرد، والتصنيف[2]، فالإحصاء سمة تميز هذا الاتجاه الأسلوبي، وذلك سعيا إلى موضعة الدراسة الأسلوبية قدر الإمكان.

وعليه، فإنّ الأسلوبية الإحصائية تعتمد الإحصاء الرياضي، وترجع أهمية الإحصاء في تحقيقه البعد الموضوعي، كنموذج للدقة العلمية التي لا تترك مجالا لذاتية الناقد كي تنفذ إلى العمل الأدبي. ومن الذين اقترحوا نماذج للإحصاء الأسلوبي " **زمب**"، صاحب مصطلح "القياس الأسلوبي"، الذي يقوم على إحصاء كلمات النص وتصنيفها حسب نوع الكلمة[3].

وعموما، تستعين الدراسة الأسلوبية بالإحصاء في المجالات الآتية[4]:

-المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا بحيث تكون ممثلة للمجتمع.

-قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية و تكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما.

-قياس كثافة الخصائص الأسلوبية...عند منشئ معين أو في عمل معين.

---

[1] موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص11.

[2] ينظر: جميل حمداوي، اتجاهات الأسلوبية، 2005، ص16 و ما يليها.

[3] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 97/1، 98.

[4] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص57 و ما يليها.

ولتشخيص العمل الأدبي، أُعتمِدَتْ معادلة "بوزيمان"*، وذلك بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير: أولهما التعبير بالحدثActive Aspect ، وثانيهما التعبير بالوصف Qualitative Aspec ، ويقوم هذا النموذج على «إحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول، وعدد كلمات النوع الثاني، ثم ايجاد نتيجة قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية. ومن خلال ذلك يحكم على أدبية النص، فارتفاع حاصل القسمة يعد مؤشرا على أدبيته، وانخفاضه يقربه من العملية»[1].

وقد انتقد هذا المنهج كُثر، يقول محمد عبد المطلب: «ربما لقيَ المنهج الإحصائي ما لم يلقه غيره من نقد وتجريح؛ لأننا عندما نعمد إلى الإحصاء في دراسة الأساليب فإننا نحيل اللغة الأدبية إلى شيء بلا لون ولا طعم»[2]. كما أن العمل الإحصائي يحمل في طياته خطر سيطرة الكم على الكيف، مما يُفقدُ دراسة الأسلوب هدفها الأساسي.

إلا أن "سعد مصلوح" ينظر إلى هذا المنهج بإيجابية، حيث يمكننا اللجوء إلى الإحصاء حين يُراد الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النصوص الأدبية، وتشخيص أساليب المنشئين[3]. ويضيف بعد أن طبّق معادلة "بوزيمان" على مجموعة من نصوص الأدب العربي: «وإننا لعلى يقين من أنه مقياس دقيق إلى حد بعيد، وأننا بذلك قد أثبتنا أن صدقه على الأدب العربي لا يقل عن صدقه على غيره من الآداب، كما أنه مقياس واحد متعدد الوظائف وبسيط في آن واحد»[4].

ومهما يكن فإنه لا يمكن التقليل من أهمية الأسلوبية الإحصائية، وتهوين شأنها، أو التهجم عليها، لما تتمتع به من موضوعية، ولكن لا بدّ من توفر شروط في دارس الأسلوب إحصائيا، أهمها القدرة على استغلال نتائج الإحصاء، و«تحليل الظواهر الأسلوبية وتأويلها مما لا يخرج عن إطار النص»[5].

4-الأسلوبية النفسية

يعد "ليو سبتزر" * Leospitzer (1887-1960) أهم رواد هذا الاتجاه؛ فلئن كانت أبحاث "كارل فوسلر" أستاذه تتجه نحو البعد الفلسفي فإن التلميذ سبتزر ركز على دراسة أسلوبية محددة. وقد حاول سبتزر بأبحاثه الأسلوبية المختلفة أن يضع قنطرة تصل بين علم اللغة والأدب، على أساس أن أعظم وثيقة كاشفة عن روح شعب من الشعوب هي أدبه.

---

* نسبة إلى: العالم الألماني: أ. بوزيمان. الذي كان أول من اقترحها وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسة نشرت له عام 1925، نفسه، ص73.

[1] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص74.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص139.

[3] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 109/1.

[4] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص140.

[5] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 112/1.

* نمساوي النشأة، ألماني التكوين، فرنسي الاختصاص. وهو من علماء اللسانيات ونقاد الأدب. له من المؤلفات: الأسلوبية والنقد الأدبي. ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص248.

والأسلوبية النفسية اتجاه يعنى بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي مع مراعاة مكونات الحدث الأدبي، متجاوزا بذلك «البحث في التراكيب ووظيفتها...إلى الأسباب والعلل المتعلقة بالخطاب الأدبي»[1]، وتفسير هذا الأمر اعتقاد أصحاب هذا الاتجاه بذاتية الأسلوب وفرديته، ولذلك فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد، وبذلك يمثل منهج سبتزر أهم اتجاهات التحليل الأسلوبي الذي يعتمد على التذوق الشخصي، ولكنه يحرص على أن يعكس المثيرات التي توصل النص إلى القارئ، ويحاول أن يحدد نظام التحليل على هذا الأساس، كل ذلك دون اغفال للجماعة التي تستعمل اللغة.

هذا وقد استعان "سبيتزر" بالدلالة التاريخية « ليستقي منها معلومات تسهم في إضاءة بعض البؤر المظلمة في النص، لأن الكلمة عنده في السياق الأدبي قد تأخذ دلالة معينة في النص، وقد تتعدد دلالتها بحسب السياق»[2] .

ويعني بذلك السياق أو ما سمي بالدائرة الفيلولوجية (تهتم الفيلولوجيا بتطور النصوص والمعارف عبر التاريخ / تعنى بالجانب التطوري التاريخي).

فمنهج هذه الأسلوبية هو "منهج الدائرة الفيلولوجية"[3]، والذي يتم تطبيقه على مراحل متعددة؛ فالقارئ مضطر لأن يطالع النص ويتأمله حتى يستلفت نظره شيء في لغته، هذا الشيء يعد خاصية يتم التوصل إليها بالحدس، إذ يهدينا إلى أهميتها الأسلوبية في النص. ثم يتم اختبارها مرة أخرى بشكل منتظم من خلال قراءة جديدة تدعمها شواهد أسلوبية أخرى. فالدائرة إذن مكونة من ملاحظة منعزلة يكمن فيها سر الأسلوب، وهي تمثل روح العمل الأدبي في شموليته؛ على افتراض أن هذه الظاهرة لا بد أن تدعمها ملامح أسلوبية أخرى في النص ذاته.

ويمكن تلخيص أهم معالم منهج "سبتزر" في الخطوات الآتية[4]:

-علم الأسلوب ينبغي أن يتخذ العمل الفني المحدد منطلقا له ولا يتكئ على وجهة نظر مسبقة أو فكرة خارجية. (أي وجوب انطلاق الدراسة الأسلوبية من النص ذاته)

-يمثل كل عمل أدبي وحدة كلية شاملة، يقع في مركزها روح مبدعها، و هو المبدأ الذي يضمن لها تماسكها الداخلي.(أي أنّ معالجة النص تكشف عن شخصية مؤلفه)

-ينبغي لكل ملمح تفصيلي أن يسمح بالنفاذ إلى مركز العمل الأدبي.(إقامة التحليل الأسلوبي على تحليل أحد ملامح اللغة في النص الأدبي)

---

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 67/1.

[2] المرجع نفسه، 73/1.

[3] على الرغم مما توحي به التسمية من وجود عنصر الدوران أو الدائرة في المنهج، فإنّ الحقيقة ليست كذلك، فهي عملية تتألف من ثلاث مراحل الأولى يقوم الناقد الذي يجب أن يكون قد توافرت فيه الموهبة والتجربة والاخلاص بقراءة النص مرة بعد مرة، حتى يعثر على سمة معينة في الأسلوب تتكرر بصفة مستمرة، وفي المرحلة الثانية عليه أن يحاول اكتشاف الخاصية السيكولوجية التي تفسر هذه السمة، وفي المرحلة الثالثة والأخيرة عليه أن يقوم برحلة العودة إلى المحيط، وينقب عن مظاهر أخرى لبعض الخصائص العقلية. ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص111. (البنية المنطقية للنص أو الأسلوب / الأدلة المنطقية في النص من الخصائص العقلية / تماسك النص فكريا من الخصائص العقلية / الحجاج في النص من الخصائص العقلية).

[4] ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، ابتداء من ص55 ، وينظر: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص11.

-السمة الأسلوبية المميزة تكون عبارة عن تفريغ أسلوبي فردي، أو هي طريقة خاصة في الكلام تنزاح عن الكلام العادي.

-يتم النفاذ إلى العمل من خلال الحدس؛ لكن هذا الحدس خاضع للتحقيق بالملاحظات والاستنتاجات.

-هذه الدراسة أسلوبية تتخذ منطلقا لها ملمحا لغويا، ولكن هذا المنطلق اعتباطي؛ فبوسعها أن تتخذ بديلا له أية خاصية أخرى ملائمة للعمل الأدبي.

-لا بد لعلم الأسلوب أن يكون "نقدا متعاطفا" بالمعنى الشائع للكلمة مع العمل الأدبي للدخول إلى عالمه، والذي ينبغي إعادة التقاطه من داخله وفي شموليته؛ مما يقتضي تعاطفا معه، ومع مبدعه.

5-الأسلوبية الصوتية

وهو علمٌ «يهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي في النصوص، حيث يساعد على الكشف عن التوظيف الصوتي لتجسيد الخيال وتحقيق الصورة، شارحا أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتي»[1].

وتنطلق من فكرة أن مادة الأدب هي الأصوات والألفاظ، وعليه فإنّ أي تحليل جماليّ مشروع للأدب لا يتحقق إلا من خلالهما، أي عن طريق تحليل القالب الصوتي لهذا العمل الأدبي[2].

وموضوع الأسلوبية الصوتية دراسة الوحدات الصوتية، والسياق الصوتي في النص الأدبي[3]. وتعتمد على مفهوم المتغيرات الصوتية الأسلوبية، وبمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية، بمقدار ما تستطيع أن تستخدم تلك العناصر لغايات أسلوبية[4].

ويقترح محمد صالح الضالع سبعة أبعاد لتحليل البناء الصوتي للقصيدة، هي[5]:

1-الوحدات الصوتية
2-السياق الصوتي للوحدات الصوتية؛
3-الجانب اللفظي الموحي والمحاكي؛
4-الجانب الصرفي والوحدات الصرفية؛
5-الجانب النحوي؛
6-الجانب البلاغي؛

---

[1] محمد الصالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة، دط، 2002، ص15.
[2] المرجع نفسه، ص20.
[3] المرجع نفسه، ص12، 13.
[4] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص39.
[5] محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، ص28.

7-جانب العروض والقافية.

ولا تجتمع هذه الأبعاد كلّها في قصيدة واحدة، ولا يصوغها الشاعر متعمدا، وإلا تحولت القصيدة إلى صنعة لفظية.

6-الأسلوبية التوزيعية

التوزيعية اتجاه لساني ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي عام 1930. وهو جزء من النهضة اللسانية عامة، حيث ظهر في كل بقعة جغرافية علماء تبنوا اتجاها حديثا في دراسة اللغة. والتوزيعية مثلها مثل الاتجاهات الأوربية المعاصرة، والتي تعد بدائلَ للبنيوية. ارتبط اسمها بالعالم اللغوي "بلومفيلد"، إذ بينما كان سوسير يتحدث عن البنيوية السوسيرية، وكان جاكبسون وتروبتسكوي وماثيزيوس يتكلمون عن ربط البنية بالوظيفة، جاء بلومفيلد باتجاه جديد، وهو الاتجاه السلوكي التوزيعي.

ومن الأعلام المؤسسين للمدرسة السلوكية التوزيعية، نذكر:

1▪إدوارد سابير (ت 1936): اهتم بتحديد معنى الفونيم، وتعريف اللغة باعتبارها شكلا (هي نفسها النظرة الشكلية للغة، والتي تبنتها لسانيات سوسير).

2▪ليونارد بلومفيلد (1887-1949):

– درس التصرف الإنساني كمجموعة من المثيرات والاستجابات، وذلك ليشرح على ضوئها الظواهر اللغوية.

–قدّم جهودا معتبرة في هذه النظرية حتى باتت تُعرف باسمه.

–تأثر بالاتجاه السلوكي الذي شاع في أمريكا. والذي ظهر بداية في علم النفس، من خلال النظريات السلوكية، مثل نظرية "واتسون"، ونظرية "بافلوق"، والتي تتحدّد على مثيرٍ واستجابةٍ. (تأثرت اللغة ومناهجها عموما بماء ساد في الوسط العام غير اللغوي، أي أنّ ما ظهر في العلوم الأخرى يمكن للمناهج اللغوية أن تستفيدَ منه، وتطبقها على اللغة).

–درس بلومفيلد لغة الهنود البدائية، ولأنها كذلك تبنى الاتجاه السلوكي، معتمدا الملاحظة والمشاهدة لأحاديثهم، في ظل جهله بلغتهم، وقد اعتمد على رصد الفعل ورد الفعل في كل تواصل بينهم، حيث درس المثير، وطبيعة الاستجابة، فأنتجَ ما يُعرف بعلم اللغة السلوكي. حاول بذلك تفسير كافة العادات اللغوية بواسطة المثير والاستجابة، كوسيلة لفك شفرات اللغة، –والتي بحسبه– تنتج آليا، أو بتعبير آخر عن حافز سلوكي. [الحدث الكلامي= فعل (منبهات) يتبعه ردّ فعل (استجابات)].

ولتوضيح نظريته تصوّر قصة جاك وجيل، ومن خلال هذه القصة قسمّ الحدث الكلامي إلى:

1–أحداث سابقة عن الحدث الكلامي.

2–الحدث الكلامي.

3–أحداث تالية للحدث الكلامي.

وعلى هذا الأساس حلل لغة الهنود.

–ثمّ انتقل بلومفيلد من المنهج السلوكي إلى المنهج التوزيعي، والسبب في هذا الانتقال أنه رأى أنّ النظرية السلوكية لا تصلح وحدها لتفسير كل ظواهر اللغة، فهي نظرية قاصرة، قد نفسر بها اللغة من زاوية أولية سطحية، باعتبار انبناء الدراسة على المشاهدة والملاحظة للغة بدائية لا قواعد لها.

-لبلومفيلد كتاب عنوانه (اللغة)، وقد اعتبر إنجيل علم اللغة الأمريكي، لاحتوائه جميع قواعد اللغة الأمريكية. درس في تمهيده المنهج السلوكي، وخصص فصوله لدراسة اللغة حسب المنهج التوزيعي.

-التوزيعية مستمدة من فكر سوسير، لقيامها على النظرة السنسكرونية (التزامنية) للغة، فمن هنا كان منطلقها.

3■ زيليغ هاريس[1]:

إليه يعود الفضل أكثر في بروز التوزيعية، لا سيا بعد مقاله (Transformar grammar)[2] المنشور عام 1952. تحدث فيه عن استعمال الرموز لتحليل الجملة، والجملة التوليدية والقوانين اللازمة لتوليدها.

-يرى هاريس أنّ المعنى ليس عنصرا رئيسا في تقسيم الجمل وتوزيع مفرداتها، وهذا بتأثير من أستاذه بلومفيلد، الذي يرى أنّ المعنى هدف بعيد المنال، وعلى الباحث أن ينصرف إلى ما هو أهم منه. ورغم هذا الرأي إلا أنّ هذا التوجه لم يلبث أن يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم والمورفيمات المستعملة والتركيب الجُملي الذي تنتظم فيه هذه المورفيمات انتظاما توزيعيا.

-أدخل هاريس إضافات على ما جاء به من سبقه من لسانيين، وبخاصةٍ أستاذه بلومفيلد، فهي إذن امتداد للسانيات التي جاء بها، ومن ذلك:

-مبدأ التحليل إلى مكونات قريبة.

-مبدأ الدراسة العلمية القائمة على الوصف والتصنيف.

-مبدأ إقصاء المعنى في التحليل.

-إنّ من أهم المبادئ التي تميزت بها النظرية التوزيعية عند هاريس:

[1] ولد هاريس في روسيا عام 1909. قدم إلى أمريكا في الخامسة من عمره، وتعلم بها، وبها نال الماجستير(1932) و الدكتوراه (1934). درس في جامعة بنسلفانيا ثم فيلاديلفيا، ثم عاد إلى جامعة بنسلفانيا. شرح نظريته هذه في كتابه: طرق (أو مناهج) في اللسانيات البنيوية. من أشهر تلاميذ هاريس تومشكي.

[2] ولعل هذا المقال هو البذرة الأولى التي انطلقت منها أعمال تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية، بتطويره أراء أستاذه هاريس في النحو التوليدي. لكنها في الأخير نُسبت لتشومسكي.

-سعي النظرية التوزيعية إلى وصف الوحدات اللسانية وتحديدها في لسان ما من أجل تصنيفها* في شكل أقسام أو فئات نحوية، بعد استخراجها من المدونة**.

-يتميز منهج هاريس عن غيره من التوزيعيين بإجراء تحليلي يتجاوز عملية التحليل المحصورة في الطبيعة الخطية، أي أنه لا يكتفي بالوقوف على العلاقات القائمة بين وحدات الجملة الظاهرة فحسب، بل يسعى عن طريق تطبيق مفهوم العلاقات الاستبدالية إلى معرفة جميع العلاقات الممكنة بين الوحدات الظاهرة والوحدات غير الظاهرة التي يمكن أن تحلّ محلها-على مستوى المحور الاستبدالي-في السياق اللغوي نفسه، وهذا ما يسمى بالتحليل التوزيعي في نظرية هاريس.

▪مبادئ التوزيعية:

▪إبعاد دراس المعنى عن الوصف اللغوي. ولإقصائه المعنى لقي بلومفيلد معارضات ومؤاخذات. والحقيقة لم يبعد المعنى ولم ينكره، وإنما رأى أنه لا يمكن دراسة المعنى بمناهج محدودة، وانما في مراحل عديدة، خاصة أنهم كانوا في تلك الفترة بصدد التقعيد للغة، لذلك فهي مرحلة تجربة واختبار وملاحظة، أي هم آنذاك في مرحلة تحضير أرض صلبة لعلم اللغة، وفي مرحلة اكتشاف لطرق ومناهج دراسة المعنى، وعليه يحتاجون لاختبار مناهج كثيرة للتمكن من دراسة المعنى بشكل صحيح.

▪اعتبار اللغة نظام علامات أو دلائل اعتباطية (وهي فكرة سوسيرية)، وهي نظرة شكلية، بحيث يأخذ كل عنصر قيمته من خلال الموقع الذي يشغله.

▪التركيز على الجانب المنطوق في اللغة على حساب الجانب المكتوب(وهو مبدأ سوسيري أيضا)، وذلك لأن النطق أوضح لما يحمله من نبرٍ وتنغيم...خلاف المكتوب، والنطق صورةٌ حيّة للغة وتمثيلٌ حقيقي لها، عكس المكتوب الذي تضيع فيه العديد من تفاصيل اللغة.

▪تحديد توزيع الوحدة اللغوية (المبدأ التوزيعي)، وهو مبدأ قائمٌ على أنّ كل وحدة لغوية إنما تشغل موقعا بعينه، لا يمكن لوحدة لغوية أخرى أن تشغله. (وسنعود إلى مفهوم التوزيع في الصفحات اللاحقة)

▪معالجة المواقع التي يمكن للوحدات اللغوية أن تحتلها في نظام لغة معينة (الملاحظة والوصف).

[اللغة العربية مثلا فيها نظام ثابت، إما جملة إسمية أو جملة فعلية:

ج إسمية =مبتدأ +خبر

ج فعلية=فعل+ فاعل+ مفعول به

---

* هنا انتقد تشومسكي اللسانيين التوزيعيين لاقتصارهم على الوصف والتصنيف، مما جعل دراستهم عاجزة عن تفسير الظواهر بالرجوع إلى بُناها العميقة الماثلة في الملكة اللغوية عند المتكلم. فاللغة عندهم (لاقتصارهم على الوصف والتصنيف)حالة سكونية وعملية آلية تُقصي من التحليل الدورَ الايجابي للمتكلم، بينما يجب في المنظور التوليدي النظر إلى اللغة بوصفها طاقة حيوية متحركة، يتم تفسيرها بمتابعة مستوياتها عند المتكلمين [مستوى الاستعداد الفطري عند الانسان (النحو العام)، ومستويات اكتساب القدرات اللغوية عند المتكلمين وخصوصا الأطفال، وهو ما يسميه بالنُحُوّ (جمع نحو) الخاصة].

**المدونة هي الواقع اللغوي الذي يلتزم الباحث البنيوي بالانطلاق منه من أجل وصف لغة ما وتصنيف وحداتها ووضع قواعدها ونظرياتها. هي إذن مجموعة عبارات يجمعها الباحث ويتخذها عينة يعتمد عليها بشكل موضوعي مثبت في دراسة ظواهر اللغة المدروسة. ويُشترط في المدونة أن تكون مغلقة وآنية (أي ما جمعه هو فقط حصريا)، استجابة لمقتضيات المنهج الآني التزامني. (تتعارض المدونة منهجيا عند بلومفيلد والتوزيعيين بشكل خاص مع مفهوم الحدس (الشعور) اللغوي الذي يستند إليه أنصار المدرسة النفسية).

فطبيعة التنظيم القواعدي والمنطقي للغة يقول إنّ كل ركن من أركان الجملة له موقع ثابت، لا يمكن أن يشغله موقع آخر في الأحوال الطبيعية. فالمبتدأ رتبته التقديم، وله الصدارة دوما في الجملة، إلا في حالات استثنائية. فالموقع التوزيعي للمبتدأ هو بداية الجملة. أما الموقع التوزيعي للخبر فهو الرتبة الثانية، بعد المبتدأ.

وكذلك الجملة الفعلية:

- الفعل موقعه التوزيعي أول
- الفاعل موقعه التوزيعي ثانٍ
- المفعول به موقعه التوزيعي ثالث

فلكل عنصر موقع توزيعي ثابت، لا يمكن إحلال غيره محله، في الأحوال العادية، باستثناء طارئ ما يؤدي إلى تغيير المواقع، كأن يكون لغرض بلاغي ما، أو أغراض أخرى خاصة بالمتكلم والمخاطب.

▪الاهتمام بالوحدات الصرفية والنحوية لأنها قابلة للملاحظة والوصف العلمي الموضوعي الدقيق.

▪تجزئة الجملة إلى مجموعة عناصر أو مركبات سمّاها "المكونات المباشرة للجملة"(Constituent immédiate)، أي المورفيمات التي تقوم على علاقات أفقية، وعلاقات رأسية:

-**علاقات أفقية**: اجتماع العناصر اللغوية والتي تترتب فيما بينها، ويصبح بينها ارتباط عضوي، وهو ما يجعل من الجملة جملةً، و النص نصا.

-**علاقات رأسية**: وهي علاقات تبادلية: استبدال كلمة بأخرى مرادفة لها. وهي عملية لا تظهر للعيان، وإنما موجودة في ذهن المنشئ، وهي قائمة على عنصر الانتقاء أو الاختيار.

(الاستبدال معيار لمعرفة الصنف النحوي أو الفئة التي تنتمي إليها الكلمة، بحيث إذا شغلت موقعا معينا عُرِف أنها تنتمي إلى صنف الأسماء أو الأفعال. في اللغة الانجليزية مثلا: أي اسم يكون في بداية الجملة فهو فاعل، وما بعده فعل.

ويمكن تطبيق هذا التحليل على جمل قليلة من اللغة العربية لا كلها، لثراء العربية وسعتها، إذ نحتاج مناهج كثيرة لتحليلها)

هذا، وتقسم المكونات المباشرة إلى متواليات صغرى سمّاها "المكونات المباشرة للمركبات"، ثم إلى أصغر مكونات الجملة "المورفيمات". وقد قسّمها لعناصر لتيسير فهمها، بحيث ينطلق التحليل من العناصر الكبيرة ليصل إلى العناصر الصغرى.

▪التمييز بين الصيغ المرتبطة والصيغ الحرة. مثلا: الولد=الـ (صيغة مرتبطة)+ولد (صيغة حرّة)

وكل منهما يسمى مورفيما (وحدة صرفية)

-مورفيمات حرة: كلمات يمكن أن تظهر بمعزل عن الكلام وتؤدي غرضها من دون ارتباطها بغيرها: ضرب، ولد...

-مورفيمات مقيدة: عناصر لغوية لا تأتي بمفردها أو تؤدي غرضا دون ارتباطها بغيرها، مثل: أل التعريف، والتي وجودها مرهون بغيرها(أي بالاسم)، حروف الجر، اللواحق والسوابق والزيادات التي تأتي في حشو الكلام.

▪التحليل الوظيفي للفونيم أعطى للفونيم قيمة وظيفية أساسها المعنى، إذ من خلاله يمكن تحديد معنى الكلمة، أي القيمة الفارقة للفونيم، ذلك ان الدلالة تختلف كل مرة باستبدال فونيم محل آخر.

▪درس بلومفيلد الفونيمات من ناحية توزيعية شكلية، بحيث قسّم فونيمات اللغة الإنجليزية وحددها بحسب الموقع، ووجد أنّ هناك فونيمات لا تأتي إلا في بداية الجملة سمّاها "الفونيمات الأوائل"، وفونيمات أخرى لا تأتي إلا في حشو الكلمة سمّاها

"الثواني"، وفونيمات لا تأتي إلا في نهاية الكلمة. وعلى هذا الأساس صنّف كل فونيمات اللغة وفق النظرة التوزيعية. وذكر كذلك أنّ هناك فونيمات لا يمكن أن يحدث بينها تجاوب، وقد حدّدها.

إنّ هذا المنهج الذي اختطه بلومفيلد له جذور وأصول في اللغة العربية، فالفراهيدي–مثلا– ذكر في معجم "العين" أن هناك فونيمات لا يحدث بينها ائتلاف، ومن ذلك العين والخاء، فهما حسبه لا يتواءمان في كلمة واحدة ولا يتجاوران. يقول: (إذا وجدت كلمة خالية من أحرف الذلاقة فاحكم بأنها غير عربية). بمعنى أنّ الكلمات التي لا تحتوي على الأقل على واحد من الحروف المذلقة تكون كلمة أجنبية عن العربية.

وحروف الذلاقة مجموعة في قولهم: فِرّ من لُبِّ. وسميت بذلك لذلاقتها وخفتها وسرعة النطق بها.

▪مفهوم التوزيع:

ترى هذه النظرية أنّ عملية التوزيع السليم الذي تأخذ فيه الكلمة قيمتها، وبالتالي علاقات منطقية ولغوية مع بعضها البعض، هي التي تصل بنا في النهاية إلى المعنى السليم.

وينطلق مفهوم التوزيع من فرضية أنّ كل عنصر يتلاقى مع عناصر أخرى بطريقة اعتباطية ومنظمة، وعندما تتكرر بعض الوحدات في السياقات نفسها نقول إنّ لها التوزيعات نفسها، أي أنها متكافئة من الناحية التوزيعية.

ويتم التمييز بين الوحدات اللغوية بواسطة عملية التقطيع أو التقسيم، وهي بذلك تعتمد طريقة شكلية للوصول إلى مكوناتها المباشرة.

أما الوحدات اللغوية فهي كل عنصر يدخل في تكوين البنية اللغوية، وعند التوزيعيين هناك نوعان من الوحدات:

–وحدات صوتية (فونيمات)

–وحدات دلالية صغرى (مورفيمات/ مونيمات بتعبير أندريه مارتينيه)

وتوزيع الوحدة اللغوية يطلق على مجموع المواقع التي توجد فيها هذه الوحدات في العينة اللغوية، فالتحليل التوزيعي يدرس توزيع الفونيمات في علاقته بالتوزيع على مستوى المورفيمات، ثم توزيع المورفيمات في علاقته مع الجملة.

إذن، هناك ثلاث مستويات في التوزيع:

- ▪مستوى الفونيمات
- ▪مستوى المورفيمات
- ▪مستوى الجملة

التوزيع بهذا، يعني الموقع الذي يحتله العنصر اللساني في سياق ما، وتتم معرفة توزيع عنصر معين من خلال ملاحظة العناصر المحيطة به، والعناصر اللسانية التي لها تواترٌ واحد في السياق نفسه.

من خلال ما سبق، يتبيّن أنّ معالجة هذه النظرية للغة إنما تنبني أولا وأخيرا على السياقات الخطية، أي من خلال موقع العنصر اللساني، وليس بوظيفته التركيبية العامة.

▪نموذج تحليل بحسب مقترح هاريس:

1-يحلل هاريس الجملة بحسب المكونات المباشرة والمكونات غير المباشرة، وهذه صورة تشجيرية لذلك:

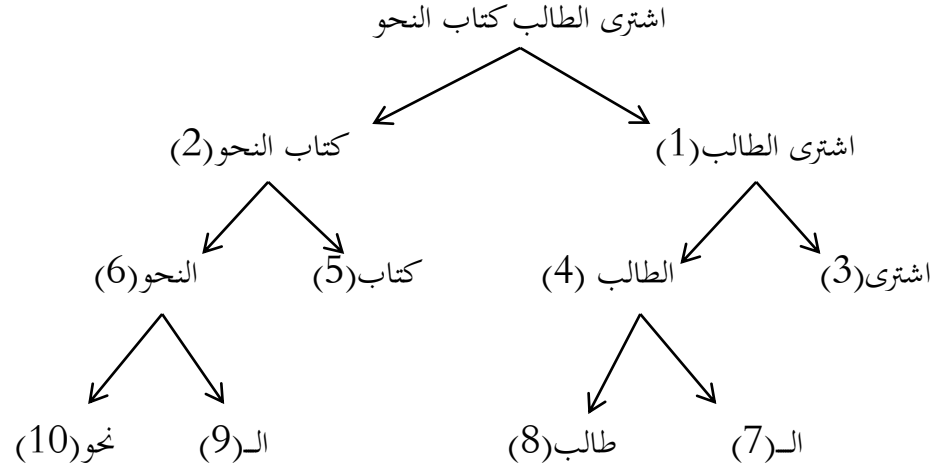

▪ **المكونات القريبة:** في هذه الجملة عددها أربعة، وهي: (اشترى الطالب)، (كتاب النحو)، (الطالب)، (النحو). أي تلك التي أرقامها: 6/4/2/1.

▪**المكونات النهائية:** في هذه الجملة عددها ستة، وهي: اشترى، الـ، طالب، كتاب، الـ، نحو.

2-كيف نحلل جملة ما إلى مكوناتها المباشرة؟

إليكَ الجواب:

وضع الولد الكتاب فوق المكتب

وضع الولد= مُركّب فعلي (م ف)

الكتاب= مُركّب اسمي (م س)

فوق المكتب=مُركّب ظرفي (م ظ)

ج = مركب فعلي+ مركب اسمي+ مركب ظرفي

=م ف+ م س+ م ظ

=ف+ م س+ م س+ م ظ

=ف + تعريف (تع)+ س+ م س+ م ظ

=ف+ تع+ س+ تع+ س+ م ظ

=ف+ تع+ س+ تع+ س+ ظ(ظرف)+ م س

=ف+ تع+ س+ تع+ س+ ظ+ تع+ س

ج= وضع+ الـ+ ولد+ الـ+ كتاب+ فوق+ الـ+ مكتب

مكونات مباشرة

▪ولهذا التحليل قواعد:

–قاعدة (1): ينبغي احترام نظام الترميز كما هو، أي نعمدُ إلى وضع رمز لكل مركب على النحو الآتي: المركب الفعلي يرمز له بـ م ف/ المركب الاسمي: م س. وهكذا، كل عنصر يرمز له بما يناسبه.

–قاعدة (2): تحليل عنصر واحد فقط في كل مرحلة. فهذا ما حددته هذه المدرسة في التحليل، وفي حوسبة اللغة، وبالتالي اعتماد خوارزميات تقوم بإحداث تحديث واحدٍ في كل مرحلة.

–قاعدة (3): وهي قاعدة ضمنية: عدم القفز على أي مرحلة مهما صَغُرت.

–**قاعدة (4)**: نشير في أول مرحلة إلى نوعية العبارة بـ(ج)، ثم تأتي مرحلة أخيرة يتم فيها إعادة تعويض كل مقولة تركيبية بمُقابلها في الجملة. نرمز لها بـ(ج) أيضا.